العرب في الزمن الأمريكي

محمد هنيد - 2026/11/05

تفرض نتائج الانتخابات الأمريكية النصفية 2026 جملة من الملاحظات التي تخص بشكل أساسي المنطقة العربية. هذا المقال قراءةٌ عربية في الانتخابات الأمريكية تشتغل على زاوية النظر العربية أساسا سواء من حيث التقييم أو الانتظارات أو التضليل. المنطقة العربية مشغولة بهذه النتائج أكثر من غيرها من مناطق العالم لأن مصير المنطقة يبدو ظاهريا مرتبطا بها وهو أمر منطقي بسبب الحروب التي أشعلتها وتشعلها الولايات المتحدة وجيوشها في المنطقة. لكن هذا الانشغال لا يرتبط بمشاغل المواطن العربي بقدر ارتباطه بالمؤسسات الإعلامية العربية الرسمية وبالنظام الرسمي العربي بأجنداته الخاصة المنفصلة والمعادية للشارع العربي. وهو ما يقودنا إلى ضرورة مقاربة النتائج من زاويتين أساسيتين : زاوية النظام الرسمي الحاكم المشغول رأسا بالمحافظة على السلطة ونهب الثروات وزاوية الشارع العربي المشغول بقوته اليومي وبتحمّل القمع السياسي والاقتصادي والاجتماعي. إن هذا الفصل المنهجي هو الذي يمنع عن مجموع الملاحظات والخلاصات اللاحقة الخلطَ بين مستويين متباينين في أفق الانتظار وفي تداعيات الانتخابات الأمريكية. قراءة الشارع العربي غير قراءة النظام السياسي.

إن تأمل الخطاب العربي باعتباره ردة فعل أولية على نتائج الانتخابات الأمريكية يعكس الاحتفال الكبير بفوز النواب المسلمين في هذه الانتخابات. فقد اعتبرت منصات كثيرة ومواقع متعددة أن هذا الانتصار هو انتصار

للمسلمين وللعرب بل ذهب أكثرهم إلى اعتباره هزيمة لشبكات التأثير الصهيونية وانتصار لشعب غزة. هو إذن حسب هذه السرديات انتصار إسلامي عربي فلسطيني داخل الولايات المتحدة الأمريكية وبين الجمهور الأمريكي أساسا. كما أنه انتصار داخل المشهد السياسي الأمريكي بانتزاع المقاعد التمثيلية من الشخصيات والتيارات والمدارس والقوى التي احتكرتها طويلا وخاصة تلك المرتبطة بشبكات التأثير الصهيونية وخاصة منظمة "أيباك". يندرج هذا الانطباع في المخيال الشعبي العام وفي رؤية الشارع العربي وتصوره لتداعيات الانتخابات الأمريكية الأخيرة وهو انطباع مختلف عن انطباع النظام الرسمي العربي الذي له حساباته المختلفة في التعامل مع الانتخابات الأمريكية ومع المرشحين السياسيين هناك.

إن أخطر ما في ردة الفعل العربية الرسمية والشعبية على الحدث الأمريكي أنها تربط ربطا وثيقا عن قصد أو عن غير قصد بين الواقع السياسي والاجتماعي العربي والواقع الأمريكي. أي أنه منهج يعمل على جعل الخارج مرجعية أساسية للواقع العربي. إن توجيه الوعي العربي والإسلامي نحو الخارج يمثل استراتيجية النظام الرسمي العربي لصرف الجماهير عن الداخل العربي المطبوع بهيمنة الفساد والاستبداد وربطه بالخارج. إن صرف الجماهير العربية وتغييبها عن واقعها يمثل هدفا أساسيا للنظام الرسمي العربي ومنصات التضليل والأذرع المرتبطة به. بل إن نخبا كثيرة بما فيها الإسلاميون قد ربطوا بين طوفان الأقصى وانتصار المرشحين المسلمين نصرا إلاهيا ببركات غزة وفلسطين.

لم يقتصر الاحتفال على الشبكات الإعلامية العربية الرسمية والخاصة بل شمل مواقف نخب كثيرة وصولا إلى الرأي العام العربي القاعدي ممثلا في مواقع التواصل الاجتماعي. هذا المشهد يسمح بإبداء الملاحظات التالية :

أولا : لا يمكن اعتبار ما حدث خلال الانتخابات النصفية الأخيرة انتصارا لأي طرف عربي أو إسلامي لأن الفائز الأمريكي إنما فاز بفضل برنامجه الانتخابي المؤسَّس أولا وقبل كل شيء على خدمة الناخب والمواطن الأمريكي ورعاية مصالحة داخل الولايات المتحدة أولا وقبل كل شيء. خدمة المواطن الأمريكي ورعاية مصالحه اليومية من صحة وتعليم وخدمات هي الشغل الشاغل للنائب أولا وقبل كل شيء وهي الشرط الأول والأخير الذي على أساسه انتخب المرشح.

ثانيا : لا يمثل انتماءُ النائب الأمريكي إلى هذه الديانة أو العرق شرطا أساسيا أو ضامنا لخدمة أصوله أو ديانته بل إن طبيعة المجتمع الأمريكي باعتباره مؤسسا على الهجرة والمهاجرين منذ نشأته الحديثة إنما تسمح بهذا التعدد في الانتماء لكنها تضع خدمة المصالح الأمريكية في الداخل والخارج على رأس أولوياتها. إن عدم رعاية مصالح المواطن الأمريكي المتشبع بالقيم المدنية ومنظومات الحقوق الفردية والجماعية سيجعل منه مراقبا دقيقا لأداء النائب من جهة وإلى امتحان وفائه بالتزاماته الانتخابية من جهة ثانية. سيكون العقابُ الانتخابي هو الورقةَ التي ستفرض على النائب مراعاة مصالح ناخبيه في الداخل قبل كل شيء.

ثالثا : إن هيمنة العنصر الأوروبي الأبيض على القرار السياسي والتمثيلي في الولايات المتحدة مقارنة ببقية المكونات مثل السود أو الإسبان أو الهنود أو المسلمين أو حتى السكان الأصليين إنما يعود إلى أسباب تاريخية مرتبطة بنشأة الولايات المتحدة نفسها بما هي مستعمرة أوروبية كبيرة أقامها الغزاة الأوروبيون منذ إبادة ملايين السكان الأصليين. بناء على ذلك فإن وصول الأقليات العرقية والدينية المهمشة استعماريا في الولايات المتحدة يعدّ من جهة أولى انتصارا للحريات وللديمقراطية التمثيلية لكنه من جهة ثانيا سيفرض على ممثلي الأقليات إظهار الولاء والوفاء للولايات المتحدة ولنظامها السياسي في الداخل بما هي قوة استهلاكية رأسمالية وفي الخارج بما هي قوة هيمنة واستغلال وتوسع. يجب أن يُظهر الفائز الأقلّوي ولاءً يفوق ولاء الحاكم الأبيض لأنه سيُختَبَرُ يوميا في قدرته على تحقيق مطالب السيد الأبيض بما هو الحاكم الحقيقي للولايات المتحدة.

رابعا : ليست هذه المرة الأولى التي يفوز فيها مرشحون أجانب وخاصة مسلمون بمقاعد نيابية في مجلس الشيوخ أو مجالس الولايات أو حتى رئاسة الولايات المتحدة نفسها. فقد بلفت النائبة الصومالية إلهان عمر هذا المنصب عن ولاية مينوسوتا منذ 2019 كما أن الرئيس "باراك أوباما" المسلم الأسود قد حكم الولايات المتحدة الأمريكية دون أن يغير ذلك من السياسة الأمريكية في الداخل أو الخارج شيئا.

إن التأمل في انتخاب الرئيس الأسود المسلم لأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة لم يكن غير تعديل أمريكي داخلي بعد الكوارث التي تسبب فيها "جورج بوش" الابن من تدمير لصورة الولايات المتحدة بعد غزو العراق واحتلاله. إن انتخاب المرشح الديمقراطي الأسود إنما جاء لإنقاذ صورة الولايات المتحدة في الداخل والخارج دون أي تغيير في الخط السياسي الخارجي والداخلي في الولايات المتحدة. كانت العملية في الحقيقة عملية تجميل للوجه الأمريكي الاستعماري القبيح خاصة بعد جرائم سجن أبو غريب.

أما على المستوى العربي فيمكن إبداء الملاحظات التالية :

أولا : لا تمثل هذه الانتخابات هزيمة للصهيونية ولا لشبكاتها في الولايات المتحدة لأنها شبكات قديمة جدا أولا ولأنها متغلغلة بقوة داخل رأس المال الأمريكي بما هو عصب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. صحيح أن شبكات التأثير قد تراجعت في هذه الانتخابات بسبب الحرب على غزة وأثرها في الرأي العام الأمريكي لكن هذا التراجع كان هدفَ قوى أمريكية عميقة ترى أن النفوذ الصهيوني قد أضرّ بصورة الولايات المتحدة وبمصالحها في الخارج لسببين أساسيين. أما السبب الأول فهو ارتباط حرب الإبادة على غزة بالولايات المتحدة التي أصبحت المتهم الأساسي بحرب الإبادة في فلسطين قبل الكيان الصهيوني. أما السبب الثاني فهو الهيمنة الصهيونية على القرار الأمريكي وعلى الرئاسة الأمريكية مما أظهر الرئيس الأمريكي خادما مطيعا عند رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو.

ثانيا : لا يمثل طوفان الأقصى إلا حدثا من الأحداث الكبرى التي تؤثر في السياسات الخارجية لكل دول العالم. لذا فإن القول بأن فوز هذا المرشح أو ذاك في الانتخابات الأمريكية إنما سببه طوفان الأقصى ليس قولا علميا لأنه يربط ربطا سببيا مباشرا بين حدثين متباعدين في المكان والزمان. لكن من جهة ثانية لا يمكن أن ننكر تأثير عملية الإبادة في غزة على الناخب الأمريكي الموجّه من قبل المنظومة الإعلامية وصنّاع التأثير في البلاد بالشكل الذي أوضحناه في النقطة السابقة.

ثالثا : إن المغامرات التي تسبب فيها الجمهوريون وعلى رأسهم الرئيس ترامب وفريقه قد أدت إلى تراجع الشعبية الأمريكية عبر العالم وخاصة مع الشركاء الاقتصاديين مثل أوروبا والصين وروسيا وكندا. وهو الأمر الذي أدى إلى انحسار شعبية اليمين الجمهوري مما دفع بالقوى العميقة للدولة إلى الدفع بالفاعلين الديمقراطيين نحو مجلس الشيوخ للحد من النزيف المادي والاقتصادي والرمزي للولايات المتحدة. فالهوس الأمريكي العميق اليوم إنما يتعلق بمستقبل المنافسة مع القوى الكبرى وخاصة الصين التي توشك أن تزيح واشنطن من عرش الهيمنة العالمية على كل المستويات وخاصة التكنولوجية. إن هذه الاستراتيجية الأمريكية تشكل النسق الأساسي الذي تسير عليه الولايات المتحدة منذ عقود حيث يتقدم الحزب الجمهوري اليميني بمغامرات خارجية توسعية مثل مغامرات بوش الأب والابن ثم يعقبه الحزب الديمقراطي

لتعديل الموقف الجمهوري المتطرف ومسح نتائجه الكارثية ثم إعادة النسق من جديد. إنها دورة الحكم الأمريكي منذ الحرب العالمية الثانية.

رابعا : تمثل المنطقة العربية مجالا للنفوذ الاستعماري الأمريكي المباشر أو غير المباشر سواء من جهة القواعد الأمريكية المتمركزة في المنطقة أو من جهة الهيمنة على الممرات المائية ومصادر الطاقة. كما تهيمن على القرار السيادي لأغلب الدول العربية سواء بشكل مباشر كما هو الحال في العراق المحتل أو من جهة التأثير القوى في قرارات دول مجلس التعاون الخليجي وفي مصر وسوريا وبقية القوى في المنطقة. بناء عليه فإن إسرائيل تمثل حجر الزاوية في هذه الهيمنة استخباراتيا وعسكريا وديمغرافيا فلا يمكن للولايات المتحدة أن تحافظ على هذا النفوذ وما يرتبط به من الثروات الضخمة دون وجود الكيان الصهيوني في خاصرة المنطقة. إن القول بتراجع الكيان الصهيوني أو بداية فك الارتباط بين الإدارة الأمريكية والكيان المحتل ليس إلا أضغاث أحلام عربية تعكس تضليلا رسميا وضلالا شعبيا عن طبيعة المعركة وأدواتها.

إن أفضل وأهم الدروس وأعمقها من ردة الفعل العربية تجاه الانتخابات الأمريكية إنما تتمثل في ضرورة وواجب رفض الانزلاق في الزمن الأمريكي بتثبت أقدام الوعي الشعبي في الزمن العربي والإسلامي بما هو الزمن الحقيقي لا الزمن المزيف. إن سعْي "إعلام العار العربي" والأذرع والنخب المرتبطة به إلى هذا التزييف إنما هدفه الدفع بالوعي العربي القاعدي نحو الزمن الخارجي وتحديدا الأمريكي اليوم لأنه يحقق للنظام الاستبدادي العربي شرط تغييب الجماهير عن حقيقة واقعها بما هو واقع احتلال واضطهاد وقمع وفساد مطلق. إن دفع الوعي العربي الجمعي نحو زمن خارجي أمريكي أوروبي أو صهيوني إنما هو مخطط مقصود لتغييب الوعي ونقل المعارك الحقيقية خارج مساحة الوعي.

"انتخابات أمريكا وليست الشعوب العربية هي من سيحسم تحرير فلسطين" "العدو هو أمريكا وليس النظام الاستبدادي الدموي العربي" "المعركة الحقيقية في أمريكا وليست في الساحات والشوارع وفي قلب قصور الطغاة العرب". هكذا تحاول أذرع الدعاية والتزييف إخراج الوعي العربي من ساحات المواجهة الحقيقية لأن تغييب الوعي وإسقاطه في غير زمانه هو الضامن الأساسي لإخراجه من المواجهة الحقيقية.

محمد هنيد.